



الفصل السابع عشر

«حسان أه يا حياة كم تعبت من قرأتك، أي امرأة أنت...!!
تعيشين الفصول الأربعة بيوم واحد»

«أتعبتني مجرد ملاحقة أحداثك ألهث.. تسير بسرعة غريبة كل
سطورك.. توتر.. أشعربك وبكل أحزانك.

تعب قلبي قبل عيوني على النوم قليلا. ساعتان وتشرق الشمس
أشتاقك أريد رؤيتك وأطمئن عليك وأعود لدفتر الأحزان هذا
لعلني أعرف من الذي أوصلك إلى هذه الحالة من الاستسلام
والياس حتى أستطيع أن أعيد إليك الفرحة حييتي أعدك سنكون

معا لن أتركك أبدا، أطفأ سيجارته وتكوع على نفسه والدفتر بيده
وكأنه يعانق حياة واستغرق في النوم.»

«في صباح اليوم التالي

»يحتسي حسان قهوته مسرعا فهو على موعد مع حياة اليوم هو
يعرفها ليس مجرد تشابه إنه على موعد مع حبه، يسرع إلى غرفتها
ومن وراء الزجاج، ينظر إليها متلهفا يتمنى لو تفتح عينيها لثانية
وتراه أمامها، لم يطل وقفته وراء الزجاج دخل وقف بجانبها وأمسك
يدها، شعر بحرارتها»

حياة أنت تشعرين بوجودي أليس كذلك؟ قرأت حياتك بل
كنت معك بكل تفاصيلك، حبيتي ساحيني أرجوك أنا مسؤول عما
حدث معك كنت غبي أمام خبث محمود وتركتك ساحيني حبيتي
ولكن أعدك لن أتركك بعد الآن، حياة لم يأت أحد لزيارتك أين
زوجك أليس أحمد من أحببت كيف يتركك بهذا الحال وحيدة،

مازلت حبيتي كما أنت رغم السنين والحزن البادي على وجهك
أنت حياة الجميلة بكل ما فيك، لا بد أن أذهب ، لعملي الآن.. لم
أخبرك حبيتي أنا هنا أعمل بقسم الهندسة الإلكترونية وحين انتهاء
عملي سأعود إلى قراءة ما تبقى من قصتك ...أعيشها معك بكل
مامر بك وفي الصباح سوف أتي إليك أرجوك تماثلي للشفاء
انتظريني أرجوك، .

يذهب حسان لغرفة الطبيب.

- دكتور هل لي أن اعرف ماهي حالة المريضة حياة؟

-إنها في العناية المركزة .

هل تعرفها؟ غريب أمرها لم يأت أحد لزيارتها منذ دخولها
المستشفى

- من أحضرها إلى هنا؟؟

- أتانا اتصال من أحدهم شاهدها وهي تقع على الأرض مغميا
عليها، وطلب سيارة إسعاف وفي دفتر هاتفها اتصلنا برقم
موجود عليه اسم أحمد وحضر إلى المستشفى وقال إنها كانت
زوجته ودفع مبلغًا للمستشفى وقال إنه متكفل بكل المصاريف
لم يكرر الزيارة ولكنه يتصل هاتفيا يسأل عنها.

- أخبرني حسان هل تعرفها؟ منذ قدومها وهي على هذه الحال
يبدو أنها مصابة بصدمة عصبية قوية وهي لا تستجيب للعلاج
لا تتكلم مستسلمة لحالة الثبات تلك ومعظم الحالات التي
ترفض الحياة في باطنها لا يمكن أن تستجيب للعلاج.

-دكتور هل وضعها خطير لهذه الدرجة؟؟

- لا أنكر حالتها تسوء يوم بعد يوم، هي تبدي بصمتها واستسلامها
رغبة قوية للموت يجب أن يكون عندها الرغبة بالشفاء لكي
نستطيع مساعدتها.

- ولكن أخبرني من تكون بالنسبة لك؟؟

- صديقة طفولة، أقصد كنا نسكن في نفس الحي، شكرالك دكتور
يمكنني زيارتها غدا.

- يمكن لك ذلك ولكن دون أن ترهقها.

- اكرر شكري بإذنك.

«يعود حسان لعمله وهو متعب وحالة القلق تبدو عليه لم يستطع
أن يكمل اليوم، قدم على إجازة وذهب لغرفته تمدد على أريكته ليس
له رغبة بالطعام، يتأمل سقف الغرفة ويدخن سيجارته وكأنه يبحث
عن شيء ما، يأخذ الدفتر وعاد من جديد يقرأ»

ها أنت أمني تعيشين بداخلي. يوم بارد وأمطار غزيرة ولكن
البرد الذي سببه فراقك أشد صقيعا، لم تعد زخات المطر تسعدني كما
كانت. هي تذكرني بفقداني لك لم تعد فرحة لقلبي كسابق عهدها

التصقت أنا ملي بذلك الزجاج...

أرتجي منه رحمة... لذكرى كانت لك بقلبي...

حسرة أمي، كنت بحياتي حلماً..
كنت معي ولم تكوني..
كيف اليوم وأنت تحت التراب تسكنين..
قوية كنت بدون كلام تحكمين..
نظرة عينيك فيها سحر بها كنت مغرمة..
ضمة صدرك كانت لي حلماً ولم تزل..
أخذ التراب جسدك.. بدموعي أسقي ترابك..
ومازلت أحلم لو أنك بيوم ضممتني...
وللمت بحنانك حزني وفرحي..
أسطر شوقي إليك كنت ومازلت حزني وحرقتي...
واليوم أبكي مع السماء مطراً بعدك...
شوقاً وحنيناً إليك أمي...
رأيتك تعانقين التراب ..!!
وحق السماء تمنيت هذا العناق...
وجسدك تحت التراب...

وجسدي يقتله الشوق إليك أُمي...

يبدو أنك لست وحدك محمود من قتل فرحة المطر عندي هناك
من كان أكثرًا إجرامًا منك، شيطان من شياطين الدنيا، تموت كل
الذكريات وتبقى أنت يامن قتل كل أحبتي، تنهش جسدي، تسرق
أي إحساس بالفرح قد يأتي، هي تلك اللوحات المشوهة لا تريد
فراقني

دخلت حليلة والدموع بعينيها حليلة تقف حزينه أمامي محاولة
تخفيف ما أنا فيه وتقول:

- إلى متى حياة ستبقي هكذا تنظرين إلى المطر من وراء الزجاج
وتبكين.

زفاف أختك قريباً يجب أن تشعر بها بالفرح وتكوني معها
بروحك وقلبك.

- حليلة لم تخبريني ماذا حدث لك بعد هروبك من المستشفى؟؟

- مازلت تذكرين، ظننتك نسيت بعد ما مر بك من حزن.!!

- حليلة قصتك أمتني ولكن كنت أنتظر وقتاً نكون فيه بمفردنا
لتروى لي ما حدث هيا أخبريني تنمة القصة، ولكن بشرط أن لا
يسبب لك ذلك حزناً أثناء سردك تلك المأساة.

-ربما حين نتكلم عن الماضي سيدتي نغتسل من همومنا ولكني أخشى عليك هماً جديداً يحمله قلبك الكبير.

-لا تخافي حليلة أريد معرفة ما حدث أكملني ما حدث بعد خروجك من المستشفى.

تنقلت بين شوارع المدينة من مكان إلى آخر وأنا لا أعلم إلى أين تأخذني قدمائي. تعبت وأنهكت قواي حتى وجدت نفسي أمام دار للأيتام، وقفت على بابه متهاكة من المرض والتعب والجوع، طرقت الباب ووقعت على الأرض في حالة إغماء، وجدت نفسي بعد أن أفقت مستلقية على السرير كنت قد ظننت أنني مت وأنني في عالم آخر، لولا وجود سيدة تجلس بقربي أخبرتني كيف وجدتني وأدخلتني إلى الدار وأنها اهتمت بي وأحضرت لي طبيب الدار وقامت هي على الاهتمام بي وسألتنني عن قصتي وما الذي أودى بي لتلك الحالة أخبرتها بكامل القصة.

والغريب أنها كانت تستمع للقصة وكأنها أمر عادي يحدث كل يوم لم أجد أي تأثر أو استغراب لما أرويه لها، لا أنكر أنها أراحتني ببرودها ذاك، وانتهيت من روايتي تلك وساد السكون بيننا، لم يطل انتظاري -سألتنني ليس عندك مكان تأوين إليه؟

-لا ليس عندي سكن ألقأ إليه.

-يمكنك هنا والعمل كذلك ونحن نتكفل بإطعامك ما رأيك؟

-أتمنى ذلك.

-أنا أعمل هنا منذ زمن ويمكن أن تساعدني في أعمال الدار وتعلمين الطهي والتنظيف، كل الأطفال هنا بحاجة لرعاية واهتمام.

- أتمنى أن أكون عند حسن ظنك سيدتي.

لم يكن عندي خيار آخر، استلمت العمل في صباح اليوم التالي، تعلمت كل الأعمال التي طلبت مني.

كنت أعمل بجد ونشاط رغم التعب الذي أواجهه من سوء المعاملة، تحملت الكثير حتى لا أعود للتشرد

في يوم إجازتي خرجت للسوق وبينما كنت واقفة أريد شراء بعض الطعام خطرت لي فكرة أن أسأل صاحب المطعم عن عمل لي في أحد البيوت وأخبرته أنني أعمل في دار للأيتام ،

- قال لي: هل تجيدين القيام بجميع أعمال المنزل من طهي وترتيب؟

-نعم سيدي قد تعلمت كل شيء.

- عندي صديق بحاجة إلى خادمة سأتصل وأسأله إن كان مازال بحاجة.

اتصل بصديقه ورحب بالفكرة وأتى وأخذني من المطعم.

كانت عائلة طيبة ولكن كثرة الرفاهية والدلال أفسدت تربية الأولاد وهذا كان يتعبني كثير وتنقلت لبيوت كثيرة وفي كل بيت أجد ما يعكر على حياتي مرت علي سنين دون أن أنتبه بأني أكبر وأني أصبحت شجرة يابسة لاخير فيها حتى أني لم أعد أقوي على العمل المتواصل لعائلة كبيرة العدد، حتى وصل بي القدر إلى السيد أحمد كنت أعمل عنده في مزرعة لهم وفي يوم حضر إلى وطلب مني أن أهتم بك وأكون بجانبك...

-هذه قصتي مختصرة سيدتي الحياة صعبة على مثلنا نحن خلقنا للشقاء عليك أن تهتم بحياتك ولا تدعي فرصة زواجك من أحمد تفوتك.. الحياة تمضي بنا دون أن نشعر.

-كم تعذبت يا حليلة وأي شقاء صّل بك ومع ذلك تمتلكين قلبا مليئا بالحنان والحب!!

-ولكن لم يبحث عنك والدك هل نسيك، وأنت ألم تحاولي أن تطمئني عليه

-بلى سيدتي سألت عنه من بعيد وعلمت أنه باع البيت الذي كنا نسكنه ترك البلد ولم يعلم أحد بمكان رحيله.

-أي قسوة يحملها الآباء؟ حسنا حليلة علينا أن نحضر الطعام قبل عودة لى من السوق.

- ولكن لا تريدن التحدث إلى السيد أحمد، هو يتصل كل يوم
ويريد التكلم معك..!

- سأتكلم معه الآن أعطيني الهاتف.

- كيف حالك أحمد..؟

- أنا بخير الحمد لله وأنت..

وأنا بشوق إليك واعتذر عن غيابي الطويل عن العمل، سأعود
بأقرب وقت.

لا لن أستطيع العودة للبيت بعد وفاة والدتي لا يمكن لي أن
أقيم في بيتك أحمد أعذرنى.

لا أستطيع أن أستقبلك هنا أرجوك أن تقدر الظرف، زفاف
أختي هذا الأسبوع ويجب أن أكون بجانبها وبعدها أعود للعمل،
مؤكد سأكلمك هاتفيا وبعد الزفاف أعود للعمل.

شكرا لك أحمد إلى اللقاء»

«عادت أختي من السوق وأخبرتها ما حدث بيني وبين أحمد
أخبرتني أن ما فعلته هو الصواب وذهابي للعيش بذلك البيت هو
خطأ بحقي

إلا في حال أن تزوجني أحمد، وأنها تشعر أن هذا الزواج فيه متاعب كثيرة.

أولها أنه متزوج وثانيها علاقاته النسائية المتكررة».

-قلت لندع هذا للأيام، المهم الآن أن نفرح بك مضي الشهر في تحضير أمور الزواج وحان موعد الزفاف، لم يكن حفلاً كبيراً بسبب وفاة والدتي، هي حفلة وداع صغيرة ثم أخذها زوجها وسافر إلى بلد عربي حيث يقيم.

كنت أطمئن عليها، وسعادتني لا توصف لأنها استقرت وتركت ورائها غبار الماضي الحزين بكل ما فيه...